بسم الله الرحمن الرحيم

الوصايا العشر

للعاملين بالدعوة إلى الله سبحانه وتعالى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله وعبده وبعد:

فإن هذه الرسالة قد كانت محاضرة ألقيتها في المخيم الربيعي الذي أقامته جمعية إحياء التراث الإسلامي -بالكويت (المنطقة العاشرة) الإثنين 28 جمادى الأولى سنة 1408هـ الموافق 8/1/1988م- ولأن هذه المحاضرة قد كانت ثمرة قلب، وخلاصة تجربة في الدعوة، استمرت بحمد الله نحواً من ثلاثين عاماً، أحببت أن أنقلها كتابياً لإخواني المسلمين في كل مكان لما أرى لها من أهمية بالغة، وفائدة كبيرة أرجوها لإخواني الدعاة إلى الله.

ولما كانت هذه المحاضرة قد ألقيت ارتجالياً خاطبت فيها العامة، فإنني اضطررت عند نقلها كتابياً أن أغير ما لابد منه من (ألفاظ عامية) لتكون مناسبة للقراءة، ولكن بقي طابعها العام ومخاطبتها لجمهور الناس.

وإني أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل لوجهه خالصاً، وأن يرزقني حبه ورضوانه، وأن يوفِّق إخواني الدعاة في كل مكان إلى التزام صراطه المستقيم، واقتفاء أثر رسوله الكريم.

وأن يستعملنا في طاعته على النحو الذي يحبه ويرضاه، إنه هو السميع العليم.

عبدالرحمن بن عبدالخالق

الكويت الثالث من رجب الحرام سنة 1408هـ

الموافق 20 من نوفمبر سنة 1988م

افتتاح وبدء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد: فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

مدخل

نحن نتمـــنى بحمد الله تعـــالى إلى أمد الهداية الأمة المختـــارة من الله سبحانه وتعالى لحمل رسالة السماء، الرسـالة الخاتمـة، رسـالة محمد بن عبدالله صـلوات الله وسـلامه عليـه، والـدعوة إليها والتبشـير بها إلى يـوم القيامة، وهذه الأمة المهتدية قد مرت عليها أيـام سـعد وعز ونصر وتمكين لما قامت بهذه المهمة، الـتي جعلها الله السـبب والسـبيل إلى هـذا النصر والتمكين، أعني لما قامت بالإسـلام أعزها الله سـبحانه وتعـالى، ثم مـرت عليها أيـام محن وألام ومصـائب، وذلك لا شك قد كـان بسـبب تركها لهـذه المهمة العظيمة: مهمة الإيمان بالله والدعوة إليه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وحالنا اليوم لا يخفى على عاقل، وأنتم بحمد الله أهل الإيمـان وأهل الإسـلام من أهل العلم والفطنة لا يخفى عليكم ما الحـال الـتي آلت إليه الأمــة، وبالتـالي لا نطيل في ذلـك، بل نركز الكلام في القواعد الـتي يمكن بها أن تبعث الأمة من جديـد، وأن تعـود كما كـانت، تتسـلم راية الله عز وجل لتكون خـير أمة أخـرجت للنـاس، سـأركز إن شـاء الله في عشر نقاط أرى بحكم تجربـتي أن هـذه النقـاط لو أخـذت بها الأمة فـإن النتيجة الحتمية بحول الله تبارك وتعالى وقوته هي العز والنصر والتمكين، والفــوز برضوان الله بالآخرة، والسعادة والفلاح، وهذه الوصـايا العشر سأسـند كل وصية فيها إن شـاء الله إلى دليل من كتـاب الله أو سـنة نبيه صـلوات الله عليه وسلامه، وكذلك وقائع السير والتاريخ، وسترون إن شـاء الله أن هـذه النقاط العشرة من البديهات، ولكنها للأسف تغيب عن كثير من المسلمين العـاملين في حقل الـدعوة، بل عمـوم المسـلمين قد لا يهتمـون بشـؤون الدعوة إلى الله تبارك وتعالى.

الوصية الأولى

البدء بدعوة الناس إلى تحقيق غاية وجودهم: عبادة الله وحده لا شريك له

أول محطة في طريق الدعوة أن نستطيع أن نقـول: إنها نقطة المنطلـق، لابد أن نعــرف غاية الخلق وسر الوجــود، وهــذه النقطة قد فصَّــلها الله تفصيلاً كاملاً في كتابـه، وبينها النـبي بيانـاً كـاملاً، وهي النقطة الـتي يـدور عليها عمل الرسالات جميعاً، بل ما أقيمت السماء ووضـعت الأرض إلا من أجلها، وهي باختصار: عبادة الله تبارك وتعالى وتوحيد الله عز وجـل، فالله ما خلق الخلق إلا ليعبـدوه، الخلق كله بعلـوه وسـفله: سـماواته وأرضـه، ملائكته، وإنسه وجنـه، ما خلق الله شـيئاً إلا ليكـون هـذا الشـيء عبـداً له ومؤتمراً بأمره ومنفذاً لحكمه، ومشـيئة الله تبـارك وتعـالى نافـذة في كل خلقه سواء كان كافراً أو مؤمناً: {أفغير دين الله يبغون وله أسـلم من في السـموات والأرض طوعـاً وكرهـاً وإليه يرجعـون} لا خـروج لأحد عن دين الله عز وجـل، حـتى الكـافر فهو في دين اللـه، وفي حكم اللـه، وفي قهر الله، وفي جبروت الله، وفي قبضة الله سبحانه وتعالى، لا انفكاك لأحد منا عن حكم الله وتصــريفه، فتصــرف الله في الكائنــات نافــذ، وأمر الله عز وجل الكوني القدري لا رادّع له، السـموات والأرض مسـلمة لله عز وجـل، والكافر مسلم رغماً عنه: بمعنى أنه لا ينفك عن قضاء الله وقــدر الله فهو يولد بأمر الله، ويمرض بأمر الله، ويمـوت بـأمر اللـه، ويـرزق بـرزق اللـه، وكل ما يعمله إنما هو بمشيئة الله عز وجـل: {والله خلقكم وما تعملـون} {ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم} {ولو شـاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون}، يعني لو شاء الله ألا يفعل الكفار كفـراً لما فعلــوا، فهــذه القضــية الأساســية: أن الله عز وجل ما خلق الخلق إلا ليعبـدوه، وأنه سـبحانه شـاءت حكمته أن يصـطفي من البشر من يعبـده، ويكرمه الله بهــذه العبــادة، ويرشــده إليها ويوفقه إليهــا، وأن الله شــاءت حكمته أن يكون هناك المتأبي على الله الذي لا يتبع هـذا المنهج ويعارضـه، ويكون مصيره الخذلان والنار، وهذه مشيئة الله النافذة: {هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن}.

فهـذه النقطة ينبغي أن تكـون هي المنطلق الأول في الـدعوة إلى الله عز وجل: الانتماء إلى هذه الأمة التي أوجدت لمهمة وهي: أن تدعو إلى عبادة الله الـتي من أجلها خلق الله السـماوات والأرض، وأرسل الرسـل، وأنـزل الكتب، وقامت المعركة بين الكفر والإيمان، والهدى والضلال: كل هـذا من أجل هذه الكلمة {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ إنما إلهكم إله واحـد} {وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون}، فـالوحي يصـيب في هـذه النقطة ويبـدأ من هـذه النقطة {قل إن صـلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين* لا شريك له وبـذلك أمـرت وأنا أول المسـلمين}، وبالتـالي الأمة الإسـلامية: يقولـون عنها (أمة الفكـرة) يعنون أمة العقيدة، والمعنى أن تجمع هـذه الأمة ليس على أرض، ولا على وطن، ولا مبـدأ اقتصـادي كشـيوعية ورأسـمالية، ولا على نظـام اجتمـاعي وسياسي كديمقراطية وغيرها، التجمع على أسـاس لا إله إلا اللـه، هـذا هو

نبينا محمد صلوات الله عليه، هذا أول المسلمين كيف اجتمع النـاس إليـه، هل قال لهم: أنا عـربي، هلمـوا إليَّ، أو أنا قرشي وليـأتني كل قرشـي، أو نحن أهل الجزيـرة فلنتكتل على أسـاس أنَّا أهل الجزيـرة (..) كلا إنما بـدأ الدعوة بلا إله إلا الله، وانضم إليه من آمن بهذه القضية، فأصبح صـاحباً له وأخاً للنبي على هـذا الأسـاس، فقـام نظـام المـولاة والمعـاداة على هـذه القضية: فمن دخل حزب النـبي صـلوات الله عليه دخل حـزب الله {ألا إن حزب الله هم المفلحون} من دخل في هذا الحزب دخل على أساس هذه الكلمة، ومن خرج من هذا الحزب، كان كذلك من أجل هذه الكلمة، فالنبي صلى الله عليه وسلم حدد موقفه من القرشيين ومن العـرب ومن غـيرهم على هـذه الكلمـة، وبالتـالي ينبغي أن نفهم أن المنطلق لغز الأمة إنما هو الاجتماع على عقيدة يسـميها النـاس بلغتهم (الفكـرة)، ونسـميها العقيـدة، هـذه أمة العقيـدة، أمة لا إله إلا الله محمد رسـول اللـه، نجتمع على هـذه الكلمة ونفترق على هـذه الكلمـة، فالاجتمـاع والافـتراق والمـوالاة والعمل كله، والمنطلق كله، من هذه القضية، وبالتالي هذه هي النقطة الأولى.

إذن الخطوة الأولى نحو عز الأمة ونصرها وتمكينها في الـدنيا، ثم سـعادتها في الآخـــرة وفوزها برضــوان الله عز وجل ينبغي أن تكـــون من لا إله إلا اللــه، أي تجمع ينبغي أن يكـون على هـذه النقطة الأساسـية، والعمل في البداية عليهـــا، ولا شك أن تحت هـــذه الكلمة علم عظيم وهو أن لا إله إلا الله ليس بـــالمعنى، الـــذي نصـــوره نحن ونخترعه نحن ونتخيله نحن، إنما بالمعنى الذي أراده الله وبينه الله عز وجل، ووضحه اللـه، وذلك أن كثـيراً من الناس يدَّعي الإيمان بلا إله إلا الله حتى الهنـادك يقولـون لا إله إلا الله يعني أن لكل هذا الكون إله ورب واحد ويقولون نحن من أهل التوحيد أهل لا إله إلا الله.

ومعلـوم أنهم من أكـثر النـاس نجاسة وشـركاً، لأنهم يعنـون بالإله وحـدة الوجود.

وقد اختلف المسلمون أيضاً في مفهوم لا إله إلا الله اختلافاً بعيـداً: فبعض هؤلاء المسـلمين عنـدهم أن الـرب معـنى لا حقيقة لـه، ولا يوصف بـأن له عُلواً كما جاء في الكتـاب والسـنة، يقولـون (هو لا فـرق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا أمام ولا خلف ولا داخل هذا العالم ولا خارج هذا العـالم)، ولا يوصف عنــدهم بصــفة ثبوتية بتاتــاً، والمسـتوى على العــرش عنــدهم هو جبريل، ويقول بعضـهم هو النـبي محمد عليه الصـلاة والسـلام، تعـالى الله عما يقولــون علــواً كبـيراً، فيجب أن نــؤمن بالله بالصــفات الموجــودة له سبحانه في كتاب الله والموجودة في أحاديث النبي محمد صـلى الله عليه وسلم. أعني أن يكـون التوحيد بحسب مواصـفات الكتـاب والسـنة، وليس بحسب ما يتخيله الجاهلون.

فالله هو الــرب الــرحمن الــرحيم، العزيز الكــريم المســتوي على عرشه سبحانه وتعالى، الذي بيـده مقاليد كل شـيء، والـذي لم يقم آلهة تعبد من دونه، فلم يأذن بهذا ولم يرض بهذا سبحانه وتعـالى، الـرب السـميع العليم المراقب لحركات عباده الذي لا يغفل ولا يسـهو عن شـيء من فعل خلقه وعبـاده سـبحانه وتعـالى، ولا يرضى سـبحانه أن يُعَقَّب على أمـره ونهيـه،

فنؤمن بالرب على هذا النحو، ليس الرب الذي يُزعم أنه ترك النـاس هملاً ليتخذوا من المناهج ما شاؤوا ويدعوا من كلامه من شاؤوا، تعـالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ليس هـذا هو رب المسـلمين، لأن الله عز وجل في حكمه وفي صـفاته لا يرضى أن ينازع الأمر سبحانه، هل يقول : افعل ويـأتي مخلـوق ويقـول: لا تفعل، ثم نطيع ذلك المخلوق!! الرب لا يرضى هذا، ليس هـذا من صـفاته، فالذي يعبد رباً على هذا الأساس يعبد رباً من انتحاله هـو، ومن فهمه هـو، وليس هو رب العباد سبحانه وتعـالى، رب العبـاد حقـاً هو الـذي يقـول عن نفسه: {والله يحكم لا معقب لحكمه} {إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبـدوا إلا إياه ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون}.

إذن لابد من فهم هذه القضية كما بيَّنها الله في كتابه وفي سنة نبيـه: هـذه قضية ونقطة لا أطيل فيها وإن كانت هي في ذاتها تحتاج إلى إطالة.

ولسنا في مقام التفصيل وإنما القصد الإجمال حتى لا يشط بنا المقام.

الوصية الثانية

توحيد الصراط: يجعل الكتاب والسنة مصدراً للتشريع واتّباع سلف الأمة

ورد كل خلاف إلى كلام الله وكلام رسوله

إنه لابد من توحيد الصراط، فالأمة التي تريد أن تعتز وتنتصر لا بد أن يكون صراطها واحداً، بمعنى أن يكـون منهجها وطريقها واحـداً، ما معـنى المنهج والطريق؟ يعني السـنن العملية في الحيـاة، كما ينبغي أن يكـون التشـريع واحداً كذلك، وهذا الذي نقوله ونطلبه في صلاتنا إذ نقول: {اهدنا الصـراط المستقيم}.

الصراط: الطريق {وأن هذا صراطي مسـتقيماً فـاتبعوه ولا تتبعـوا السـبل فتفرق بكم عن سبيله}.

والنبي صلى الله عليه وسلم خط خطاً وخط بجانب هـذا الخط المسـتقيم خطوطاً متعرجة فقال: [هذا صراط الله مستقيماً، وهـذه السـبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه ثم تلا قوله تعالى: {وأن هـذا صـراطي مسـتقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله}].

ما معـنى الصـراط؟ الصـراط منهج عملي كامـل، بمعـنى أنك في الأربع والعشرين سـاعة تعمـل، تعمل أشـياء كثـيرة، قيامك من النـوم وطهـورك وصـــلاتك وخروجك من منزلك وســـعيك لمعاشـــك، وتربيتك أولادك، ومعاشرتك لجيرانك، وزوجتك، والناس وتعاملك، وكلامك، وأخذك، وبيعـك، وعطـــاؤك، وما تقابله من نعيم في هـــذا اليـــوم وما تقابله من محن ومشـكلات، المنهج العملي الكامل هو مجموعة التصـرفات كلهـا، لا يوجد تصـرف من تصـرفات الإنسـان ليس لله فيه حكم {ما فرطنا في الكتـاب من شيء} {ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء}.

فما من تصرف للإنسان على هذه الأرض إلا ولله فيه حكم، فيقول لك هذا مباح فاعمله، وهذا واجب لا بد أن تؤديه، أو هـذا حـرام إيـاك أن تفعلـه، أو هذا مندوب إن شئت فعلته فلك أجره، أو هذا مكروه الأولى لك أن تتركـه، فأعمـال المكلفين تقع ضـمن أحكـام تكليفيـة، ما ينفك المكلف عن حكم الله، هذا معنى الصراط، الصراط هو المنهج العملي فالدين صـبغة كاملـة: كيف تتصرف تجاه الله سبحانه وتعالى، تجاه النبي، تجـاه المؤمـنين، تجـاه الكفار، تجاه الزوجة، تجـاه الأولاد، تجـاه النـاس، لا يوجد تصـرف من هـذه التصرفات إلا وفيه حكم، وبالتالي لابد أن يكون لنا تصرف واحد، فإذا قـال المـؤذن: حي على الصـلاة: فنتوجه جميعـاً إلى الصـلاة، وإذا رأينا المنكر تشـمئز منه قلوبنـا، كلنا نشـمئز من هـذا المنظـر، ونحـاول إنكـاره بما اسـتطعنا، إذا حلت بنا مصـيبة وقفنا منها موقفـاً واحـداً: الصـبر والتسـليم لأمر الله والتصـرف بما أمر الله سـبحانه وتعـالى، هـذا إذا كـان تصـرفنا واحداً.

ولكن إذا كنا مختلفين في العقيـدة تصـرفنا تصـرفاً مختلفـاً، فـإذا قـال المؤذن: حي على الصلاة: فواحد يكره هذا ويولي ظهره وآخر يلبي النداء، إذا رأينا منكراً، أحدنا يستحسن هذا، وآخر يستنكره، وإذا رأينا امـرأة عارية في الطريق فواحد يستحسن هـذا، ويشـجع هـذه ويـأمر بـه، وآخر يلعنها ويسـبها، ويقـول لهـا: لعنك اللـه، لقد خـالفت أمر الله وأمر الرسـول وتسـتحقين اللعن، وهكـذا يكـون تصـرف أمـام المنكر مختلفـاً، فلا بد من توحيد الصراط في العمـل، وكـذلك في المنهج التشـريعي: صـلاتنا واحـدة، وصيامنا واحد، فقهنا واحد، ما أمكن بالطبع، توحيد الصـراط، وهـذا بلا شك لا يعني التطابق التام في كل صغيرة وكبـيرة، لأن في قضـايا الإسـلام كما ذكرنا صبغة عامة، ولا يمكن أن يتطـابق المسـلمون حـول كل تصـرف من التصـرفات، وبالتـالي لا بد أن يكـون هنـاك اختلاف في بعض القضـايا الاجتهادية، لكن الله تبارك وتعالى أرشدنا فقال سبحانه: {وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله} وقال تعالى: {فإن تنـازعتم في شـيء فـردوه إلى الله والرسـول إن كنتم تؤمنـون بالله واليـوم الآخر ذلك خـير وأحسن تأويلاً}.

سيبقى عندنا إذا اختلفنا مركز اللقاء في كلام الله وكلام رسوله، يكون هذا هو المرجـع، لا عقلي ولا عقلك ولا عـرفي ولا عرفـك، ولا أخلاق قبيلـتي وأخلاق قبيلتك، إنما المرجع إذا اختلفنا هو كتاب الله وسنة نبيه محمد عليه السلام، كل أحد بعد النـبي يؤخذ من قوله ويـرد عليـه، هـذا هو المنهج كما قال الإمام مالك: ما منا إلا وقد رد -أي على غيره من العلمـاء- ورد عليه -أي من العلماء- إلا صاحب هذا القبر (يعني النبي صلى الله عليه وسلم).

فالذي يرد على النبي كالذي يقول للرسول: أخطـأت في هـذا الاجتهـاد، أو أنت لم تحكم بالعدل في هذا، أو هذا مخالف للمعقـول، هـذا يكـون كـافراً بالله، لأن الرسول لا يشرع من عند نفسـه، أما غـير النـبي فيمكن أن نـرد عليه ونقـول: أنت جـاوزت الحد في هـذا، كلامك في هـذا مرجـوح، وقولك في هـذا مخـالف للحـق، لا مـانع في هـذا، ما دمنا نعتقد أن الحكم بيننا هو الرجوع إلى كلام الله وكلام الرسـول صـلى الله عليه وسـلم. هـذه قضـية هامة.

المسـلمون اليـوم مختلفـون في المنهج التشـريعي: في مسـائل العبـادات ومسائل العمل ومسائل الحرام والحلال، لابد من محاولة جمع شمل الأمة الواحدة، لابد أن يكونوا متفقين في هذا، كان الصـحابة يتشـددون في هـذا تشـدداً عظيمـاً جـداً، أذكر مثـالاً على ذلـك: عنـدما اختلف الصـحابة: هل الغسل من الجنابة هو من الإنـزال أو من التقـاء الختـانين، فقـال بعضـهم: "إنما المـاء من المـاء" وجـاء عمر رضي الله عنه وحسم القضـية وقـال: "سـلوا عائشـة" فقـالت: "إني سـمعت رسـول اللـه: يقـول: "إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل".. فقـال عمـر: لا أسـمع أحـداً أفـتى بخلافه إلا جعلته نكـالاً. (رواه الإمـام البخـاري) والمعـنى أنكل به لو أفـتى بخلاف ما توصلنا إليه أنه الحق: {وما كـان لمـؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسـوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم}.

فتوحيد الصراط مهم جداً فالصحابة كانوا يختلفـون في بعض الأمـور ولكن في الأمر الجامع لا يختلفون: اختلفوا في قضية الإتمـام في السـفر، إتمـام الصلاة الرباعية، فهذا عثمان رضي الله عنه كـان يتم وهو في الحج فـأفتوا بخلافه، ولكن عندما كـان يقـوم للصـلاة، كـانوا يصـلون خلفه أربعـاً، فقـال بعضهم: كيف تفتون أن الصلاة اثنتان وتصلون أربعـاً، فقـالوا: سـبحان الله أمير المؤمنين!!، والمعنى لابد من اجتماع الكلمة ولا يجوز الخلاف، بل لابد من الاجتماع، وهـذا لا يكـون إلا بتوحيد الصـراط، لا يكـون إلا بالتحـاكم في كل خلاف صغير وكـبير إلى كلام الله وكلام النـبي صـلى الله عليه وسـلم. وأن كل إنسان يأخذ من قوله ويرد عليه وأنه لا عصـمة إلا لكلام الله وكلام النبي.

هــذا أمر هــام، لأن الله عز وجل يقــول: {ولا تنــازعوا فتفشــلوا وتــذهب ريحكم}، لأنه بالتنــازع والاختلاف يكــون الفشل وذهــاب الــريح، ولابد من توحيد صراط الأمة وهذا بتعليمها مناهج الإسـلام كلها حـتى يظهر في الأمة النموذج الكامل للإسلام.

الوصية الثالثة

التربية والتزكية هي السبيل لإنشاء الجيل الذي ينصر الله به الأمة، ويعز به الإسلام

ما معنى هذا الكلام؟ الإسلام أحكام عظيمة:

مسائل الإيمان:

ليس الإيمـان بـالعلم فقـط، وإنما بـالعلم والتصـديق والإحسـاس وتشـرب القلب، أعني أن الإيمان ليس هو فقط مطلق المعرفة باللـه، فلو كـان هو مطلق المعرفة بالله لكان إبليس مؤمناً، وكان كل الـذين يقـرؤون القـرآن ويقـرؤون السـنة مؤمـنين، علمـاً أن القـرآن مبـذول لكل أحـد، يأخذ منه المؤمن والمنـافق، بل بعض الكفـار عنـدهم دراسـات، وعنـدهم من علـوم

القرآن والسنة أكثر بكثير من المسلمين المؤمنين، والحال أنهم بهذه الدراسة ليسوا مؤمنين وإنما الإيمان يقول: يقول الله: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً}. فلم يقل سبحانه وتعالى إنما المؤمنون الذي عرفوا الله ورسوله وإنما قال: {إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم} هذا شعور وإدراك وتصديق {وإذا تليت عليهم آياته} ما قال حفظوها أو فهموها بل قال: {زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون}.

التوكل معروف: وهو أن تبذل السبب وتدع النتائج إلى الله، لكن ممارسة هذا في الواقع العملي يختلف، فما كل من عرف هذا مارسه {الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون}، كثير من الناس يعرفون وجوب الصلاة، وقد يعرفون أركانها وحدودها وتشريعاتها ولكن يؤذن المؤذن ولا يصلون، وإذا صلى فليس عنده قلب لإقامة الصلاة، وأعود فأقول (تربية على الإيمان): {قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم}.

(لما) هذه يسمونها في لغة العرب أداة نفي وجزم، تنفي حدوث الفعل إلى وقت التكلم، والمعنى إلى وقت التكلم لم يحدث هذا، مثلاً أقول: الآن جلسنا بعد المغرب للدرس ولما يؤذّن للصلاة، أي لم يحن وقتها بعد فهنا قول الله: {ولما يدخل الإيمان في قلوبكم} يعني للآن ما دخل لكن الإيمان هل عرفوه أم لم يعرفوه؟ والجواب عرفوه حتماً، لأنهم جاؤوا إلى الرسول وشهدوا بأن لا إله إلا الله وأن محمداً سول الله، وعرفوا شرائع الإسلام، وربنا قال لهم ليس الإيمان بالمعرفة فقط، الإيمان لم يدخل قلوبكم بعد {ولما يدخل الإيمان في قلوبكم}.

ما معنى هذا؟ معناه أن الإيمان يحتاج إلى نوع من الممارسة والعمل، وهذا ما أعنيه هنا بالتربية، التربية على الإيمان، لأنه بالتربية يتشرب القلب الإيمان، وكذلك فأعمال الإيمان أعمال كثيرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، [الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياة شعبة من الإيمان].

فلكي نستحي مثلاً لابد أن نربي أنفسنا على الحياء، ولكي نعلم الطفل أن يستحي لابد أن نعلمه ونوجهه ونرشده مرة بعد مرة، فإذا رأيناه كاشفاً عورته، نقول له هذه عورة غطها!! وإذا رأيناه يسب من هو أكبر منه، نقول له: استح ممن هو أكبر منك، لا تفعل كذا، لا تسأل هذا السؤال.. ممارسة "طويلة" حتى يتربى على الحياء، وهذه شعبة واحدة من شعب الإيمان، وكذلك كلنا يعلم أن إزالة الأذى من الطريق من الإيمان، لكن هل بمجرد المعرفة ينشط الفرد منا ويكف الأذى عن طريق المسلمين؟ هذه تحتاج إلى عزيمة وإرادة وتوجه، وبالتالي إلى ممارسة وإلى وقت أيضاً حتى يتشربها الإنسان وبالتالي حتى يصطبغ بها الجيل.

ليس بمجرد درس يسمعه الناس أو بمجرد دورة مثل دورتنا هذه في المخيم، يخرج منها الناس مؤمنين، نعم يخرج الناس عارفين متعلمين، لكن حتى تصل معاني الإيمان إلى القلوب، هذه تحتاج إلى ممارسة في واقع الحياة، وبالتالي أقول هذه الكلام لأن كثيراً من الدعاة إلى الله عز

وجل يريد أن يحول الناس إلى الـدين بمجـرد جـرة قلم من الحـاكم وهـذا الكلام خطأ.

وحقاً الحاكم يملك السيف والعصـا، ويسـتطيع أن يوجه النـاس إلى الـدين بـالقهر، وقـديماً قـال عثمـان بن عفـان رضي الله عنـه: (إن الله يـزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن).

هذا صحيح من حيث العموم فأكثر الناس يخشـون العصا أكـثر من خـوفهم من الله، فلو قام الآن حاكم إسـلامي يطبق الإسـلام ويصـدر قانونـاً يقـول فيه مثلاً:

شرب الخمر حرام، أو خروج المرأة من بيتها غـير محجبة سـيوجب القبض عليها، وسيسجن ويحاكم المسؤول عنها، إذا عرف النـاس أن الحـاكم جـاد في تطبيق هذا القانون، فلا شك أنه لن يعصي إلا القليل، هذا أمر معلـوم، لا شك أن وازع السـلطان عظيم، لكن ما النتيجة لو أن هـذا الـوازع نُحِّي وأُبْعِد فماذا ستكون النتيجة؟!.

في اليوم التالي سنجد النساء في الطرقات، سيعود العري مـرة ثانيـة، ما اختلف شـيء لأن الـذي اسـتجاب بالعصا رجع إلى شـيمته وإلى خلقه وما تربى ونشأ عليه، هذا الجيل الـذي يتحـول إلى الإسـلام بالعصا والضـرب لا يصـلح في الحقيقة لعز الأمـة، إنه لا يقيم مجد الأمة إلا من كـان القـرآن وازعـه، وبالتـالي إلا من تـربى على الإسـلام، وبالتـالي إلا من اختـار هـذا الطريق. (ولست بهذا أهون من شأن السـلطان المسـلم ولا القـرار الـذي يحفظ الأمة من الفسـاد، بل السـلطان المسـلم لا شك أنه يهـيئ المنـاخ الصالح لتنشئة أجيال الإسلام، ويجعل الفسـاد مقموعـاً مخـذولاً مختفيـاً لا يضر إلا فاعله، ولكنـني أحب هنا أن أبين أن الـذين يتبعـون الإسـلام إيمانـاً واختيـاراً دون خـوف السـلطان هم الأتبـاع الحقيقيـون والملـتزمون الصالحون). ولذلك أقول وأكرر أن الأمة تقوم على جيـل: القـرآن وازعـه، والخوف من الله رادعه، أناس يخـافون الله عز وجل بالسر والعلن، سـواء أكان سوط الحاكم على رؤوسهم، أو لم يكن، بل يحركهم الـدين والخـوف من الله ويحـركهم الإيمـان بالله سـبحانه وتعـالى، هـذا الجيل لا يمكن أن يتـأتى إلا بتربيـة، ولـذلك كـان من حكمة الله ورحمته بهـذه الأمة أن جيل الصحابة تربى التربية الكافية ولو أن الرسول من أول يوم دعا فيه النـاس للإيمان جاءته كل قريش فدخلت في الإسلام في يـوم واحـد، ما تـربى ولا خـرج رجـال، ولكن تـأخر النصر إلى ثلاث عشـرة سـنة والمسـلمون في الشدة العظيمة، والتعذيب والقهر والطرد والبلاء، حتى وجد الرجـال، وفي السـنوات الأخـرى الـتي مكثها النـبي في المدينة كـانت أيضـاً كلها فتن ومصائب لعلها أكثر من الفتن الـتي تعـرض لها المسـلمون في مكـة، ذلك من أجل إخـراج الجيل العظيم المبـارك فالرسـول نفسه أوذي في المدينة أعظم من الأذى الذي حصل له في مكة، وهـذا كلام ليس مبالغـاً فيـه، بل أنا موقن من هذا، لأن الذي وقع له في المدينة أكبر بكثـير من الأذى الـذي وقع له في مكة، فالنبي سُبَّ في أهلـه، وقيل لـه: (أبعد عنا نتن حمـارك)، وقيل لـه: (لئن رجعنا إلى المدينة ليخـرجن الأعز منها الأذل)، وهـذا الكلام في غاية الشـدة، فالرسـول لم يتعـرض لمثل هـذا الأذى في مكة ولا أوذي

على هذا النحو في مكة، وكذلك قـال تعـالى للمنـافقين: {أو لا يـرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون}.

فُتِنَ المسـلمون في المدينة بفتن عظيمة جـداً، من أعظمها فتنة الخنـدق، وفتنة أحد، وكان المجرمون من اليهود من أمثـال كعب بن الأشـرف الـذي كـان يسب الرسـول ويُشـبب بالنسـاء المسـلمات، والرسـول في المدينة ومعه السيف، فلا شك أن هذا الجيل ما تربى عبثاً، وإنما تـربى على تحمل من المشاق والفتن والمآسي والبلاء العظيم، ومرَّ بتجارب عظيمة صـقلته، حتى خرج بالفعل جيلاً عظيماً، وعندما انتصر المسـلمون وبـدأوا يرتـاحون وفتحت مكة، وبدأ نوع من الراحـة، أعلن الله لرسـوله: (لقد انتهت مهمتك فاستعد للموت) {إذا جاء نصر الله والفتح* ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً* فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً}.

قال ابن عباس في هذه السورة: (نعى الله عز وجل فيها نبيه) وكأنه يقول للمؤمنين: (إن الرسول قد انتهت مهمته فاسـتعدوا لأن يفـارقكم) فـارقهم الرسـول والدولة مسـتقرة والحمد لله كـانت الجزيـرة قد هـديت، ولكن بمجـرد أن تُـوفي الرسـول بـدأت الفتن أكـثر مما كـانت عليه فقد ارتـدت العــرب إلا قليلاً، وحصر المســلمون في المدينــة، ومر أبو بكر والصــحابة بفتن يشيب لها الولدان: فتنة الردة كانت من أعظم الفتن.

وهذا خالد بن الوليد يقول: قـاتلت فـارس والـروم فلم أجد قتـالاً أشد من قتال بني حنيفة قوم مسيلمة الكذاب حتى أن القراء من المسلمين عملوا شيئاً ما عملوه في أي معركة من المعارك، كـان القـراء يـدفنون أنفسـهم حتى لا يفروا، يحفر المسلم لنفسه حفرة لصدره، ويدفن نفسه ويقف فيها كي لا يفـــر، ويقاتل وهو في مكانـــه، لـــذلك قتل أكـــثر حفظة القـــرآن واستشهدوا في هذه المعركة، وهذا الـذي من أجله قـال عمر بن الخطـاب لأبي بكـر: (إن القتل اسـتحر في أهل اليمامة وإني أرى أن تجمع القـرآن، إني أخاف أن يذهب كثـير من القـرآن) فجمع القـرآن كما جـاء في صـحيح البخـاري، ثم جـاءت فتن أعظم، فما خلصـوا من فتنة الـردة إلا وجـابهوا أعظم دولتين، وجاء أبو بكر الصديق يقول للمؤمنين: نبدأ بفارس أم الروم أم تقاتلون الدولتين معاً؟ فـدخل المسـلمون في فتن يشـيب لها الولـدان، هؤلاء العـرب المسـلمون بأعـدادهم القليلة في ذاك الـوقت -كـانوا ما بين ثلاثة ملايين وخمسة ملايين- يتوجهون إلى أعظم دولـتين في ذلك الـوقت، والخلاصة أنه لا يعز الإســلام إلا بجيل قد تــربى على الإســلام، وصــقلته تجاربه.

أعـود فـأقول لابد من اعتمـاد التربية وسـيلة لإخـراج الجيـل، وكثـير من الشباب المتحمس يريد أن يبني دولة الإسـلام عن طريق قـرار وجـرة قلم من الحاكم، ولو كـان هـذا الحـاكم في شـعب منسـلخ عن الـدين، بعيد كل البعد عن الإذعان لمنهج اللـه، ومـآل ذلك إلى أن يتحـول الحـاكم المسـلم قبل هــذا الشــعب إلى ســفاح وجلاد إذا أراد أن يقيمهم على الجــادة، أو يسكت على انحرافهم، وهذه مصيبة أخرى.

* والخلاصة أنه لابد من جيل قد تـربى وفق مواصـفات الكتـاب والسـنة بتربية متدرجة ودخل الإيمان فعلاً قلبه، ويستطيع أن يتحمل تبعات الدعوة إلى الله وحمل هذه الأمانة.

الوصية الرابعة

تجييش الأمة كلها للدعوة إلى الله، وألا تكون الدعوة مهمة مجموعات

أو أفراد أو هيئات فقط، بل مهمة الأمة كلها

لابد من تجييش الأمة كلها، وأعني بالتجييش أن تكـون أمة الإسـلام جيشـاً واحداً، وهذا لا يتأتى إلا بأن يعلم كل مسلم أنه جندي، وأنه مـأمور من قبل الله بحمل هذه الأمانـة، وبالتـالي واجب الـدعوة إلى الله ليس على طائفة معينة، ليس على الحكام وحـدهم، أو على العلمـاء وحـدهم، أو على طلاب العلم وحدهم، بل على كل أحد بقدر جهده وبقدر عطائه: هذا يجاهد بماله، وهذا يجاهد بكلمته، وهذا يجاهد بنفسه، إذا أصبح الجهاد هاجس الأمة، وكل مـؤمن يعتقد بأنه واجب عليه ويتحمل جـزءا من هـذا الجهـاد، إنه لا يقـوم للإسلام قائمة والناس قاعدون، وما أقوله هو الـذي أراده الله تمامـاً لهـذه الأمــة، جميعها أن تكــون مجاهــدة داعية إلى الله سـبحانه وتعـالى، ومن أعظم الأدلة على ذلك أن الله هدد بالنار القاعد عن الهجـرة، قـال تعـالى: {إن الذين توافهم الملائكة ظالمي أنفسهم}، أي: بـالقعود في ديـار الكفر وعدم تمكنهم من تطبيق الدين {قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضـعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مـأواهم جهنم وساءت مصيراً}.

فهذا الإنسان الذي لم تدفعه عقيدته لأن يترك بيته ووطنه ليعلن ويشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيم شـرائع الإسـلام، لا عـذر له أن يقول كنا مستضعفين في الأرض.

الناس تخرج وتهاجر وتترك أوطانها لتكسب الدينار والـدرهم، فإنه يجب أن يكون الدين أعز من النفس والدنيا.

هل عـذر الله إنسـاناً عن التـأخر عن الجهـاد؟! إلا من لم يسـتطع بالفعل حمل السلاح، قال تعالى: {ليس على الأعمى حـرج ولا على الأعـرج حـرج ولا على المريض حرج}، هؤلاء هم الذين عذرهم الله، وأما من سـوى ذلك فلم يكونوا معذورين ما داموا يقدرون.

وباختصــار أقــول: لابد من تجــييش الأمة كلها وتحميلها أمانة الــدعوة، والدعوة الآن فرض عين على كل مسلم بقدر ما يستطيع الـدعوة والجهـاد فـرض عين على كل مسـلم، قـال تعـالى: {ولتكن منكم أمة يـدعون إلى الخير} والمعنى كونوا جميعاً أمة على هذا النحو.

* والخلاصة تجـييش الأمة واجب، والـدعوة إلى الله والجهـاد فـرض عين، ولابد من تحريك كل قوى الأمة، وتفجـير كل طاقاتها نحو هـذا الأمر وحمل أمانة الدعوة.

الوصية الخامسة

البناء من كل المواقع، والعمل في كل اتجاه

بعد تجييش الأمة، بأن يكـون كل مـؤمن جنـدياً لله تبـارك وتعـالى لابد من التوجه إلى البنـاء في كل موقـع، أعـني أننا لا نريد أمة من صـنف واحـد، تتوجه إلى عمل واحـد، لا نريد جميع الـدعاة إلى الله خطبـاء، فالخطابة وتعليم الناس باب من أبواب الدعوة، وتربية الأبناء باب، وكل هذه ولا شك من عمل الدعوة ومن عمل البناء.

الأمة احتياجاتها عظيمة جداً، وبالتالي لابد من التوجه إلى كل مجـال يمكن للمسـلم أن يثمر فيه وأن يعمل من خلالـه، وهـذا الـذي كـانت عليه أمة الإسلام في عهد النبي، لقد ربَّى أمة ولم يكن صاحب مدرسة، هنـاك فـرق بين شيخ له مدرسة ويأتي الناس إليه ليعلمهم مقـرراً دراسـياً ويقـول لهم بعد ذلك مع السلامة!! والمربي الذي يريد أن يبني أمة.

إن الـذي يبـني أمة يحتـاج إلى كل فـرد، وكل فـرد ينبغي أن يكـون في موقعه، ولا يوجد فـرد مسـلم، وإلا وفيه نفع مـا، وأعلانا منزلة أكثرنا نفعـاً، وأبو بكر رضي الله عنه ما كان خطيبـاً ولا واعظـاً، كـان رجلاً تـاجراً، لكنه كان داعية بكل ما للكلمة من معـنى، وطريقته الاتصـال الشخصـي: يلتقي الناس الذين يتعامل معهم فيـدعوهم للإسـلام، كـان نسـاباً يعـرف أنسـاب العـرب، كـان رجلاً فـاعلاً للخـير لا يجد ثغـرة إلا ويسـدها، في مكة أعتق سـبعة عبيد منهم أربع نسـاء، وقـال له أبـوه يا بـني: إن كنت فـاعلاً ولا بد أعتق الرجال الأشداء حتى يمنعوك، فقال له: يا أبت إنما أفعل ذلك لله!!.

هذا الرسول يسأل الناس يوماً بعد صلاة الفجـر: [من شـيَّع اليـوم جنـازة] فيقول أبو بكر: أنا!! فيقول: [من عاد اليوم مريضاً] فيقـول أبو بكـر: أنـا!! فيقول: [من أطعم اليوم مسكيناً] فيقول أبو بكـر: أنـا!! فيقـول الرسـول: [ما جمعهن أحد في يوم إلا نودي من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء].

كان أبو بكر خير داع إلى الله بعد الرسول، هذه دعوته: لم يكن مدرساً ولا خطيبـاً، كـان أفضل الأمة بعد النـبي صـلى الله عليه وسـلم، ولا يحسن الخطابة كما يحسنها كثير من النـاس، إنما يحسن الإيمـان والـدعوة، وفعل الخير، وكان رجلاً نافعاً بكل معاني النفـع، وعنـدما قـاد الأمة قادها بمنتهى الحزم وبمنتهى الفهم وبمنتهى التقـوى لله عز وجل وبـالإرادة الصـلبة فهو من حيث الرجال رجل مواقف وتربية، لقد كان شيئاً فوق التصور والخيال.

تسلم أمر الأمة وهو يقـول: والله ما طلبت الإمـارة سـراً ولا جهـراً، وهـذا منتهى النزاهـة، مواقف في منتهى العجب!! ولنـترك الصـدّيق الآن ونـأتي إلى فـرد آخر من أمة محمـد: امـرأة، يقـول ابن حجـر: "بحثت عن اسـمها فلم أجده". هذا المـرأة لا اسم لها في السـيرة، هـذه من أمة محمد صـلى

الله عليه وسلم، بل من الصحابة، هل كـانت لها مهمـة؟ نعم، كـانت تكنس مسجد النبي وتنظفه والرسول الذي يبني ويربي هل نسي هذه المرأة؟ ما نسيها، لأنها جزء من الأمة، فقدها النبي يوماً فسأل عنها فقيـل: يا رسـول الله إنها ماتت بالليل، فقـال: [هلا آذنتمـوني]، قـالوا: يا رسـول الله مـاتت بالليل فساءنا أن نزعجك. فقال النبي: [دلوني على قبرها].

انظروا الرسول الذي يقود أمة، عنده وقت يخـرج للبقيع ليصـلي على قـبر امـرأة سـقط اسـمها في التـاريخ!! والمقصـود أنـني أنبه إلى أنه يمكن أن يكون لكل إنسان عمل في الـدعوة، وبالتـالي إذا أردنا أن نقيم أمة لابد أن يكـون كل إنسـان مهمـاً مهما صـغر شـأنه وقل عطـاؤه، فليكن له عطـاء بحسب قدرته، ولو كان لكل إنسان مهمة في الدعوة لتغير حال الأمة.

وانظروا معي في هذه الحادثة: أحد إخواننا الألمـان أسـلم، سـألته مـرة ما الذي أدخلك في الإسلام؟ هو رجل مهندس وطيار، عنده أربع شـهادات في فـروع الهندسة قلت لـه: لِمَ دخلت الإسـلام؟ فقـال لي: ثلاث حـوادث هي التي وجهتني للإسلام -وأنا الآن أذكر حادثة واحدة فقط- قال لي: كنت في السـودان وفي بلد بعيد عن الخرطـوم، حيث أعمل في أحد المشـروعات، وفي يوم غربت عليَّ الشمس بعيداً عن مقر إقامتي جاءني رجل قال لي: أنت رجل غـريب وأنا أسـتطيع أن أقـدم لك خدمـة، فقلت لـه: لا أحتاجـك، قال: بل أنت محتاج حتماً إلى خدمتي ولن أتركك، فقلت لـه: لا أريد خدمة من أحد، فقال السوداني: لن أتركك، ثم يتابع: وألحّ عليَّ حـتى أخـذني إلى منزله فقلت لــه: لم أخــذتني وألححت عليّ على هــذا النحو -وليس له إلا غرفة واحدة وكانت فيها زوجته أخرجها إلى منزل أهلها- وأكرمـني إكرامـاً عظيماً جداً، فقلت له: لماذا فعلت هـذا؟ فقـال السـوداني: لقد نـذرت لله أن أعمل معروفـاً كل يـوم، وقد رأيتك قبل أن تغـرب الشـمس ولا يوجد أمامي غيرك أصـنع له معروفـاً!! لو ذهبت أنت لم أجد أحـداً آخر أفي معه بوعدي مع الله!!

ثم يقول الأخ الألماني، قلت في نفسي: ما هذا الـدين الـذي يجعل إنسـاناً يلزم نفسه بفعل معروف لإنسان آخر؟ هذه حادثة واحـدة بقيت في ذهـني وأيقظت عندي الرغبة في التعرف على الإسلام.

باختصار: الشاهد من هذه القصة أنه يمكن أن يكـون لكل إنسـان منَّا فعل في الـدين ودعـوة إلى الله عز وجـل، وليس الإنسـان الـذي يمسك مكـبر الصوت ويدعو إلى الله هو الداعي فقط، فمثل هذا الرجل بفعله للمعروف وجَّه إنساناً للدين وللإسلام وهذه دعوة عظيمة، وبالتالي يمكن لك إنسـان يجعل همه الدعوة والدين أن يسهم إسهاماً في بناء هذه الأمة.

الوصية السادسة

العمل المتأني على توسيع دائرة الإيمان

الذي يعني بالضرورة تضييق دائرة الفسق والكفران

الفساد موجود والخير موجود، والقضاء على الفساد يمكن أن يكون بمجرد جرة قلم من الحاكم هذا صحيح، كما ذكرت في القضية الثالثة لكنه قضاء ظاهري، وأما القضاء الحقيقي على الفساد إنما هو بتوسيع دائرة الإيمان، والخنق التدريجي للفساد، والتضييق عليه كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: [لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرنه على الحق أطراً..] الحديث، ومعنى لتأطرنه على الحق أطراً أي تستمرون وراءه بالموعظة والتشديد والتضييق.. وهذا هو الخنق التدريجي، حتى يموت الفساد ويختفي وهذا هو الطريق الصحيح الذي بين الله تبارك وتعالى أنه به تنتهي دائرة الفساد قال: {أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أفهم الغالبون}، الأرض هنا أرض الكفر، ومعنى ننقصها من أطرافها: نأخذ طرفاً طرفاً منها يزاد إلى أرض السلام، وهكذا دواليك وأقول: كلما اكتسبنا فرداً من معسكر الفسق والفساد والكفر وانضم إلى معسكر التوحيد والإيمان والهداية، كلما ضاقت الدائرة على المفسدين، وبالتالي لو التزم كل منا برجل واحد كل عام نكون قد وسعنا دائرة المهتدين، وضيقنا دائرة المفسدين، وهذا العمل التدريجي المتأني عظيم جداً والدعوة مباركة، ولا أطيل في هذا، فقد بينت في مواطن كثيرة أن الدعوة مباركة، مثلها مثل الزرع تبذر بذرة، ويتولى الله تبارك وتعالى إنباتها ونموها واستواءها.

الوصية السابعة

الحرب على كل الجبهات، ومحاولة سد كل الثغرات

لابد من سد جميع الثغرات والحرب على كل الجبهات وفي كل الميادين، الأمة الإسلامية قد فتح عليها باب الشر من كل مكان، والقول الآن بأن الدعوة لا تكون إلا في مكان واحد من هذه الأمكنة خطأ كبير، مثلاً لابد من الدعوة إلى التوحيد، وهذه هي البداية، ولكن هذا القول يمثل نصف الحقيقة وليس كل الحقيقة فلو كانت الدعوة إلى الإسلام هي الدعوة إلى التوحيد فقط، ورأيت عارياً وجائعاً، ألا ينبغي لك وأنت تدعو إلى التوحيد أن تكسو هذا العاري، وأن تطعم هذا الجائع، أم أنه إذا جاءك الجائع والعاري وأمسك بثيابك، وقال لك: يا فلان أنت جوعان أعطني ديناراً، تقول له: اذهب عني أنا الآن مشغول بدعوة التوحيد، فلعله يقول لك: حث الناس يعطوني ديناراً أعيش به، فهل تقول له: لا وقت عندي ولا بد أن نهتم بالتوحيد أولاً؟ هذا القول لا يصدر من داعية حق إلى الله، وهذه ليست دعوة إلى الله فإنه لو كان الإنسان جالساً في درس التوحيد، وجاء هذا الجائع، ودخل هذا العاري ينبغي أن نوقف الدرس ونعطيه من أموالنا حتى نسد حاجته.

وإنني أقول أيضاً: إن هناك من يتصرف مثل هذا التصرف، يرى حاجات الناس وآلامهم ومصائبهم، وركوب الظالمين عليهم وتهتيك حرماتهم، ولا يهتم بشيء من ذلك ويقول: الدعوة إلى التوحيد أولاً!!.

ولا شك أن هناك أوليات، هناك بدايات وليس معنى الأولوية أن لا نشغل بغيرها، هذا خطأ في فهم الأولويات، إذ لا بد من الحرب على كل الجبهات. التوحيد أولاً: نعم، ولا يجوز أن نشغل عن إحسان الصلاة فإذا كانت صلاتي غير صحيحة فينبغي أن أصححها، وإذا كان بيننا رجل جائع فلا بد أن نطعمه ونتعاون في هذا، ولا ينبغي أن نقول: إن هذا مشغلة عن العمل، لجنة تجمع الزكاة والصدقات وتعطي الفقير المحتاج هذا من عمل الدين والدعوة، عدو غزا ديارنا، لابد أن نقوم في وجهه ولا يجوز أن ننشغل عنه.. لقد فتحت على المسلمين الثغور من كل مكان: أفغانستان فيها نار تشتعل.. في السودان مجاعة.. في الأمة ظلمة فجرة.. يقهرون المسلمين ويعذبونهم، ويضطهدونهم، في الأمة جهلة يجب تعليمهم.. في الأمة مفسدون يجب الضرب على أيديهم وإنكار فسادهم.. في الأمة أعداء ينتشرون في كل مكان يجب فضحهم وتعريتهم.. في الأمة عقائد باطلة لا يجوز السكوت عنها.. لابد أن تكون الدعوة عملاً في كل ميدان وسداً لكل الثغرات حسب الإمكان، لو كان هناك الإمام العام لكفانا هذا، ولكان قد وجه هؤلاء إلى وجهة ونظم الأمر ورتبه للمسلمين، لكن لا يوجد الإمام العام.. فما يصنع الأفغاني؟ هل ينتظر الإمام ليأذن له بالجهاد وينظم له الصفوف؟ والفلسطيني ماذا يصنع؟.. يصرخ في أرضه ويقاتل الدبابات بالحجارة؟ وماذا يصنع المسلمون هنا وهم مهددون كل يوم بالغزو الإيراني؟ وهل ينتظر العلماء إذن الإمام لنصح الأمة وتوعية الناس والدعوة إلى الله..؟

أعداء الله عز وجل شغلوا كل إنسان منا بمشكلته، وكل جماعة بهمومهم وجعلوا الناس مهمومين، كل يكفيه همه، أن يفكروا في غيرهم ويبحثوا عن سواهم.

والخلاصة أن على المسلمين اليوم: أن ينظموا صفوفهم، وأن يوحدوا جهودهم، وأن يحاربوا ما أمكنهم على كل الجهات، وأن يحاولوا أن يسدوا كل الثغرات، لا شك أنه لن يكون سد هذه الثغرات كاملاً، وقيام الأمة بالأمانة كاملة لا يكون إلا بإمامة واحدة وخلافة راشدة، وهذا ما يشير إليه النبي محمد صلى الله عليه وسلم ولا يمكن أن تقوى الأمة إلا وهي تلتف حول علم واحد وحول إمام واحد، ينبغي البناء وسد هذه الثغرات وتجييش الأمة، وهذه كلها إرهاصات لظهوره، وبدايات لتمكين الدين وجمع كلمة المسلمين، وعلى كل حال إذا جاء صلاح الدين وجد الجند موجودين، ولا يكون هذا إلا العمل المتواصل خير من أن يأتي فلا يجد الأرض إلا يباساً وخراباً.

وإنه لا يجوز لأطفال شب الحريق في بيتهم أن يقولوا يجب أن ننتظر أبانا حتى يطفئ الحريق، بل عليهم أن يفعلوا ما يستطيعون، ولو بالصراخ والعويل حتى يستيقظ من يطفئ الحريق.. اخرج من بيتك ناد الجيران، افعل شيئاً لا يجوز لأن تقعد وتقول: لا نقوم حتى يأتي المهدي ويصلح

الأحوال، ويهدي الأمة ويجمع الأمة، هذا ليس بصحيح، لقد فعل هـذا اليهـود دهراً طويلاً من عمرهم، قالوا ننتظر المخلص.. فلما طال انتظارهم ولاقوا الذل والهوان هبوا بأنفسهم ولم ينتظـروا مخلصـاً بعينه ليخلصـهم، وفعلت هـذا طوائف كثـيرة من المسـلمين، قـالوا: لابد أن يرسل الله لنا المخلص الذي يخلصنا: ينبغي أن نقوم نحن ونؤدي ما علينا، فـإذا جـاء المخلص وجد هنـاك من الرجـال من يقـوم معـه، وأما قعودنا وتكاسـلنا فسـيترك الأرض خراباً والنفوس فاسدة ضعيفة لا تصلح لشيء.

الوصية الثامنة

تصحيح مسيرة الدعوة أولاً بأول،

وإنكار منكر الدعاة قبل غيرهم، وإشاعة الشجاعة الأدبية والنقد الذاتي

هذه القضية هامة، وأنا للأسف لضـيق الـوقت أجمل إجمـالاً، والأمر يحتـاج تفصيلاً، ولعلي في موطن آخر إن شاء الله أشرح هذا.

النقد الذاتي لأهل الدعوة إلى الله عز وجل والمهتدين:

ما معـنى هـذا الكلام؟ معنـاه أنه ليس كل من دعا إلى الله عز وجل وبعد النبي صلى الله عليه وسلم معصوماً، بل كل منا معرض للخطأ والصـواب، وأخطاء الدعاة كثيرة، وهنـاك الـذين يحـاربونهم، يتصـيدون هـذه الأخطـاء، هناك مقولة سارية عند الدعاة إلي الله تقول: إنه لا يجوز أن نفضح أنفسنا عند النـاس ولا ننتقد بعضـنا، وأنا أقـول: إن هـذه المقولة خاطئـة، لأنه لابد من تصحيح مسيرة الدعوة، ولابد من إشاعة النقد.

إذ لو كان إظهار خطأ المهتدين عيباً لما بين الله تبـارك وتعـالى كثـيراً من عيـوب المهتـدين، مثلاً: سـرية عبدالله بن جحش اجتهـدت اجتهـاداً وقتلت بعض الناس في الحرم وفي الشهر الحرام، وجاء الكفار وقـامت قيـامتهم، وقالوا: استحل محمد الدم في الشهر الحرام، وأشاعوا في العـرب الـذين كـانوا يعظمـون الشـهر الحـرام: فقد كـان الرجل منهم يـرى قاتل أبيه في الشـهر الحـرام أو البلد الحـرام ولا يمسـه، لكن إذا انتهى الشـهر الحـرام طالبه وأخذ بثأر أبيه..

فلما فعل هذا بعض المسلمين اجتهـاداً منهم أنكر المشـركون هـذا فـأنزل الله قوله: {يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير} وهذا بيان أن هذا خطأ ومعصية ولكن الله رد على الكفار قائلاً سـبحانه: {وكفر به والمسـجد الحـرام وإخـراج أهله منه أكـبر عند الله والفتنة أكـبر من القتل}.

والمعـــنى إن كنتم تعيبـــون على المســـلمين أمـــراً فقد فعلتم معشر المشـركين ما هو أعظم، فقد فعلتم أضـعافه من الكفر بالشـهر الحـرام والبلد الحرام، وإخـراج أهل البلد الحـرام منـه، واليـوم أقـول: لقد تـأخرت

الدعوة إلى الله سبحانه وتعـالى بسـبب السـكوت عن كثـير من الأخطـاء: أخطاء في العقيدة، وأخطاء في المنهج، وأخطاء في السلوك.

بعض الدعاة يريد أن يكون جباراً في الأرض: يسفك الـدماء المحرمة بغـير حق، ويستحل حرمات الناس بغير حق والسكوت عن هـذه الأخطـاء إقـرار لها وتشويه للمنهج الإسلامي، وصد عن سبيل الله، وبالطبع فأنا أفـرق بين الخطأ المستعلن والخطأ الخفي، أقـول: يجب التميـيز، فلان فعل هـذا وقد نصب نفسه داعياً إلى الله عز وجل، لا أقول اسكتوا لا تقولوا للنـاس هـذا الأمر خطأ حتى لا يظن عموم النـاس أننا نخطئ، لو سـكت أنت عن هـذا، وسكت أنا، أصبح هذا من جملة المنهج، أصـبح هـذا ليس منسـوباً إلى الله سبحانه وتعالى ورسوله، لأن هذا وغيره منسوبون إلى الدعوة، فإذا سـكتنا عن أخطائـه، تصـبح هـذه أخطـاء المنهج الربـاني، والمنهج السـماوي منهج الله، وهذه جريمة، جريمة في حق الدين أننا نسكت عن الأخطاء، أي خطأ استعلن وأظهر للناس ينبغي أن يبين ونقول: هذا الذي فعله فلان ليس من الدين، وهذا فعله باجتهـاده، ليس معصـوماً، ولكنه مجتهد وأخطأ الطريـق، وهذا ليس بصواب وهذا ليس من دين الله، فيكون المنهج سليماً والطريق سالكاً نظيفاً.. كان الصحابي إذا أفتى بفتـوى برأيه يقـول: إن كـانت صـوباً فمن الله وإن كانت خطأ فمـني ومن الشـيطان، وللأسف أن بعض الـدعاة يستحل الدم الحرام ولا يريد أن ينتقده أحد ويقـول إذا حصل النقد للـدعاة يحتج علينا المنافقون والكفار، أننا فعلنا جريمة، وأنا أقول: لأن تنسب هذه الجريمة إلينا خيراً من أن تنسب إلى الله ومنهجه وإلى رسوله وإلى دينـه، فلنقل للكفار والمنـافقين: يا جماعة هـذا الخطأ منا وليس من تشـريع الله وليس من الدين وليس من أمر الله، فالذي فعله فلان وفلان لا ينسب إلى الـدين، وليس من أمر الله ولا أمر رسـوله ولا دينه ولا شـرعه ولكن هـذا اجتهاد منهم، ويتحملون هم وزره والله بريء من هذا والرسـول بـريء من هذا!!

هذه يا إخواني قضـية هامة وتـرك نقد الـدعاة أخّر الـدعوة، أخّرها سـنوات طويلة، بسـبب السـكوت على الأخطـاء، وبالتـالي أي إنسـان خـارج الـدين ينظر إلى الــدين فــيراه مجموعة من حركــات المجــانين والعــابثين، بل والمجـرمين أحيانـاً، دين الله غـير هـذا، دين الله ينبغي أن يـبرأ وينبغي إن نحن فعلنا خطأ أن نعترف ونقول الله بريء من هـذا ورسـوله بـريء ودين الله بريء، وبالتالي يبقى الإسـلام نظيفـاً وطريقه صـحيحاً. ولا يـأتي جاهل يــــرى في هــــذا الخطأ ويبــــني عليه لأن الخطأ إذا أقر والبدعة إذا بقيت فسيأتي جيل ولا يجد من يبين له، وإذا بقيت الانحرافات والأخطاء ولم تجد من يغيرها فسـيأتي جيل يقلد في هـذا وتسـتقر البـدع وتصـبح جـزءاً من المنهج والدين، وهكذا يفسد الدين بالتراكمات وأخطاء الدعاة، والذي يـأتي من الخارج يجدها جزءاً من المنهج.

هذا كعب بن مالك لما تأخر عن تبوك نزل القرآن في شأنه، وهـذا حـاطب ابن أبي بلتعة فعل شــيئاً فــنزل في حقه قــرآن، وهــذا كتــاب الله فضح المنافقين الذين كانوا جزءاً من المسيرة، وكـان لابد من فضـحهم وبيـانهم حتى لا يتأثر بهم غيرهم، لابد إذن من تميز دائم وتفريق بين المنافق الــذي تأصل النفاق في قلبه، وبين مؤمن أخطأ بعـذره، اجتهد فأخطـأ، وبين رجل

كريم عثر عـثرة فنقبلـه. وبين جاهل حاقد قد يفسد وهو يظن الصـلاح كما فعل الخوارج.

* والخلاصة لابد من تصحيح المسيرة، وبيـان الأخطـاء، وتقـويم العـوج في الدعوة إلى الله

الوصية التاسعة

تنسيق العمل بين الجماعات الإسلامية

ومناصرة بعضها بعضاً والوقوف صفاً واحداً أمام القوى المعادية

وهذه وصية عظيمة، وهي تنطوي على مجموعة من الحقائق:

أ- إن قيام الجماعات الإسـلامية الكثـيرة في أنحـاء العـالم الإسـلامي كـان بحكم تباعد الديار، والاختلاف في الأولويات، وتغير الظـروف والملابسـات، وهذا جميعه قد أفرز بالتالي تعدد جماعات الدعوة.

ب- هـذا التعـدد اسـتفاد منه الجهـاد الإسـلامي كثـيراً، وذلك أن الأوضـاع السياسـية والظـروف القائمة لا تسـمح بإقامة عمل واسع منظم للـدعوة، والظـروف الأمنية لم تكن لتسـمح أحيانـاً بقيـام جماعـات لها لـون معين واهتمامات معينة كالاهتمام السياسي والتنظيمي، لـذلك نشـطت جمعيـات أفادت المسلمين كثيراً كالجماعـات الـتي اهتمت بإقامة المسـاجد ورعاية الأيتام، وتعليم القرآن، وتثقيف أبناء الإسلام، والدعوة إلى الصـلاة والزكـاة والحج، وتعليم النـاس توحيد الله وعبادتـه، والنهي عن مظـاهر الشـرك والوثنية، ومحاربة بعض البدع العقائدية الخطيرة كالرفض والتصوف.. وكل هذه الأمور لا غنى للمسلمين عنها بتاتاً، وقد قامت بها جماعات كثـيرة في غيبة بعض الجماعات الـتي غلَّبت السياسة ونقد الحكـام، وتنظيم الأحـزاب على نشاطها والتي كان تلاحقها السلطات في كل مكان.

ولـذلك فقد كـان لقيـام الجمعيـات الدعوية الـتي اهتمت بأعمـال الخـير والدعوة إلى أمور الدين السابقة أثر بالغ في حياة المسـلمين، وخاصة بعد أن تخلت معظم الحكومـات عن هـذه المهـام من تعليم القـرآن والصـلاة والإسـلام، ورعاية الأيتـام والفقـراء، وإخـراج الزكـاة، والنهي عن البـدع والمنكرات، والشرك.

ج- ولا أنكر ولا أشك أنه قد كـان هنـاك بعض السـلبيات من هـذا التعـدد كالتنافس غير الشرعي، الذي أدى إلى الطعن والتشويه والتجـريح، وإيقـاع المبتـدئ في بلبلات عظيمـة، وحـيرة من أمـره في شـأن الـدعاة للإسلام واختلافهم، ولكن هذه السلبيات لا يمكن أن توازي الإيجابيـات العظيمة من تعدد الجماعات، علماً أن هذه السلبيات يمكن تلافيها تمامـاً والتخلص منها أبداً باتباع سياسة حكيمة وهذا ما تدعو إليه الوصية التاسـعة، وتتمثل هـذه السياسة الحكيمة فيما يأتي:

1- إشاعة إخوة الإسلام ورابطته بين جميع العاملين للإسلام، والـدعوة إلى أن المسـلم في كل زمـان ومكـان وهيئة وجماعـة، وأن هـذه الرابطة من أصول الدين وقواعد الإسلام.

2- التلاقي بين العاملين للإسـلام ومناقشة أولويـاتهم ومنـاهجهم والانفتـاح على الآخرين، ومعرفة ما عندهم.

وفي ظني أن حتمية العمل ووحدة المصير ستحتم على العـاملين للإسـلام أن يكونوا وحدة في آخر المطاف، وذلك أن الأمور تتحرك في ظل الدعوة إلى الله إلى انحياز أهل الشر بعضهم بعضاً، وتناصرهم وتعاونهم، وبالتـالي سيجد أهل الخير والدعوة أنه لا مناص لهم من التعاون والتآزر.

ومع ذلك فإنني لا أقول يجب أن نصبر حـتى تلجئنا الظـروف إلى التعـاون، بل يجب أن يسـعى كل العـاملين للإسـلام إلى أن يكونـوا إخـوة متحـابين متناصرين، وأن يكونوا صفاً واحداً في وجه المجـرمين من الملحـدين، وألا ينتظـروا حـتى تلجئهم الظـروف إلى ذلـك، بل عليهم أن يعملـوا للوحـدة والتآلف والتآزر من الآن بوحي من إيمانهم وعقيـدتهم، وأن هـذا هو فـرض الله عليهم وأمـره لهم كما قـال تعـالى: {واعتصـموا بحبل الله جميعـاً ولا تفرقوا} وقوله: {ولا تنـازعوا فتفشـلوا وتـذهب ريحكم} وقولـه: {إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صـفاً كـأنهم بنيـان مرصـوص} والآيـات في هذا المعنى كثيرة جداً.

ومع هذا فأنا لا أشك بتاتـاً أن مصـير الفرقة بين الجماعـات الإسـلامية إلى زوال، وأنه لا مناص لهم عن التآخي والتآزر.

وأنا لا أدعو بالضـرورة إلى دمج الجماعـات الإسـلامية في جماعة واحـدة فهذا لا شك فيه استحالة وبعد عن الواقع والمعقولية في الـوقت الحاضـر، وإنما أدعو إلى الوقوف صفاً واحداً في القضـايا العامة وحـرب أعـداء الله وأعـداء رسـوله ودينـه، وأما في أمـور التربية الخاصـة، والأولويـات والاهتمامات، فلا شك أنه كلما كان هناك لقاء كان هناك تقارب، وكلما كان هناك أكثر من جماعة في القطر الواحد كان هنـاك مجـال عظيم للتنـافس في الخـير والتسـابق إلى الإحسـان، وإلى تطـوير كل جماعة لعملها واهتمامها بنشاطها، واقتباسها لنـواحي الحسن عند منافسـتها والتخلي عن مواطن الضعف التى تعـاب عليهـا، وهكـذا تسـتفيد الـدعوة الإسـلامية في النهاية من هـذا التنـافس والتسـابق على الكسب والإحسـان، وأما وجـود جماعة واحدة للدعوة في القطر الواحد فإنها بالضـرورة تـؤدي إلى الرتابة والخمـول والكسـل، وضـعف النقـد، وبالتـالي تـراكم الأخطـاء واسـتفحال الأدواء.

* والخلاصة أنـني أدعو إلى التقـارب والتنسـيق بين الجماعـات الإسـلامية، وفتح مجالات الحـوار واللقـاء، وإذكـاء التنـافس في الخـير، والتسـابق إلى الإحسان وهـذا هو الـذي سيسـرع بنشر الـوعي الـديني وتحويل مجتمعاتنا إلى مجتمعات إسلامية.

الوصية العاشرة

الاعتصام بالله دائماً، واليقين أنه هو سبحانه الذي يقود ويوجه مسيرة الدعوة،

ويسدد الدعاة، ويختار لهم وأن الدين دينه والأمر كله له

وأختم بها، وهي: أن جماع هـذا كله هو الاعتصـام بالله تعـالى، والعلم بـأن حركة الدعوة إلى الله الذي يخطط لها ويقـدر لها هو الله سـبحانه وتعـالى وليس الأفراد، ألم يكن النبي محمد صلى الله عليه وسلم هو أكمل النـاس عقلاً وفكراً وفهماً بدليل أن العرب بـأحلامهم الـتي تـزن الجبـال كـانوا إذا اختلفوا يتحاكمون إليه، ويرضـون بحكمه ويقولـون عنـه: الأمين والصـادق، وهذا من كماله البشـري، ولما جاءته الرسـالة وعنـده هـذا الكمـال وعلمه الله سبحانه عز وجل، وبالتالي سار بهذا الـدين فكـان يجتهـد، وبلغتنا كـان يخطط كيف ينشر هذا الـدين وكيف تعز الأمـة، ولكن لا شك إذا نظرنا في القرآن فسنجد أن الذي كان يقود مسيرة الدعوة هو الله سـبحانه وتعـالى وليس الرسول عليه السلام، في الظاهر النـبي.. لكن في الحقيقة والواقع الذي يخطط للأمر بمعنى يقدر الأمر هو الله سبحانه وتعـالى، ومثـالاً على ذلك: معركة بـدر: عنـدما نقـرأ في السـيرة نجد أن الرسـول عليه السـلام جاءه خبر عير قريش التي ذهبت إلى الشـام في تجـارة وأنها راجعة بـألف بعير وعليهم مائة رجل فقط، وقـال الرسـول: اخرجـوا لعل الله ينفلكموها وخرج النبي هكذا باجتهاده وقال: من كـان ظهـره حاضـراً فليخـرج، وجـاء وخطط للمعركة وعمل كذا وكذا وكـان النصر في النهايـة، ولكن نقـرأ في القرآن إن الله عز وجل يقول للنبي صـلى الله عليه وسـلم: {كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون}.

كما أخرجك ربك من بيتك بالحق!! الذي أخرجك هو الله! فمن الـذي يقـدر ويـــدبر؟! أو بتعبيرنا يخطط للمعركة الرســـول أم اللـــه؟ لا شك أنه الله سـبحانه الـذي أعطى رسـوله البشـارة بـالنظر {وإذا يعـدكم الله إحـدى الطائفتين أنها لكم}، قبل أن يخرج رأى أنه منتصر، فمن كـان الـذي يـدبر الأمر؟!

طبعاً الرسول خرج وهو الذي صف الناس، وهو الذي فعل، وهو الــذي أخذ من الحصباء وألقى في وجوه القوم وقال: شاهت الوجوه، هذا الذي فعله، لكن من الذي كان يدبر هـذا الأمر كلـه؟ الله سـبحانه وتعـالى قـال: {فلما تقتلـــــــوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وليبلى المؤمــنين منه بلاء حســناً} ما أنتم فعلتم أنا فعلت إذن فــالقراءة الربانية للأحـداث تختلف عن قراءتنا البشـرية للأحـداث، القـراءة الربانية للأحـداث تـــبين لنا أن الله عز وجل هو الـــذي رتب الأمر كله ودبـــره وأراد أن يصل المسلمون لهذه النتيجة: نتيجة النصـر، فهم يفعلـون ويخططـون ويـدبرون لكن الله عز وجل هو الذي يوجههم وهو الذي يريد هذه النهاية الـتي انتهـوا إليها، هذا في حال الهزيمة كذلك!! المسلمون هزموا في أحد كانت هزيمة مُرة، لكن هل كان هذا كذلك بـأمر الله ومشـيئته وتـدبيره أم لا؟! الجـواب نعم!! وكان هذا من أعظم الخير لأمة الإسلام، لأنه تحقق في هذه الهزيمة من الخـير ما لم يتحقق في بـدر بل أضـعاف ما تحقق في بـدر من الخـير لهذه الأمة، والمجال لا يتسـع، ولكن إقـرأوا الآيـات من سـورة آل عمـران

تجدوا أن الله عز وجل هو الذي رتب الأمر كله، الله يقول للنبي صلى الله عليه وسـلم: {وإذا غـدوت من أهلك تبـوئ المؤمـنين مقاعد للقتـال والله سـميع عليم} الله سـميع وعليم بك يا محمد وأنت تقـول لفلان ابق هنا ولفلان كن هنا وفي نهاية الآيـات يقـول تعـالى: {وما أصـابكم يـوم التقى الجمعان فبإذن الله وليعلم المؤمـنين* وليعلم الـذين نـافقوا..} يقـول الله لنبيـه: بـإذني كـانت تلك الهزيمة والمصـيبة لأمـيز الصـفوف وأتخذ منكم شـهداء، وأربيكم وأعلمكم وأهـيئكم وهـذه أمـور فيها من المنـافع العظيمة جداً، إذ لو أن المسلمين يخططون لأنفسهم ويصنعون أقدارهم بأيـديهم لم يفعلوا لأنفسهم غير هذا.

لقد رأيت كثـيراً من الصـالحين يـدخل في محنة ما أرادها أبـداً يلاقي فيها الأمرين، ولكنه يكتسب فيها من الخير والبركة ومن المنافع العظيمـة، لكن لا تنال هذه العلوم، وهذا الطريق الشاق والمحن العظيمة هـذه ويحصل ما حصل من فوائد فيقـول: والله كنت أتمـنى أن أدخل في هـذا الطريق وأصاب بهذه المصائب وهذه المشاكل حتى أنال ما نلته الآن.

وبالتالي فاختيار الله عز وجل للمؤمن أعظم من اختياره لنفسه.

والخلاصة أن الله تبـارك وتعـالى هو الـذي يقـود مسـيرة أهل الإيمـان وهو الـذي يـربيهم ويعلمهم ويبتليهم بـالخير والشـر، الشر الظـاهري لكنه في باطنه خـير، أريد أن نخلص من هـذا كله إلى أن أهل الـدعوة ينبغي أن يعتصـموا بالله كما قـال الله في ختـام آية الـدعوة {واعتصـموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير}.

وأن نوقن أنه لسنا نحن الذين نخطط للدعوة، نحن بحسب علمنا البشـري نعمـل، لكننا نعمل في إطـار تـدبير الله ومشـيئته وكثـير من الأمـور نركبها رغمـاً عنا ونوضع فيها رغمـاً عنـا، والله لو كـان باختيارنا وعقولنا ما توجهنا إليها، لكن نجد في النهاية أنها خير وبعدها تجد أن هـذا الطريق كله فشـل، لأنك لم تتبع الطريق السـليم ولم تتجـرد لله وتسـلم قيـادك لله عز وجـل، وأما إذا سـلمنا لله فلابد أن تكـون النتـائج في صـالحنا، لأن الـذي يخطط للعمل ويدبر الأمر ويقضي في كل شيء هو الرب سبحانه وتعالى.

لو أن الـدعاة إلى الله فقهـوا أنه لا صـلاح لهم ولا نجـاح لهم إلا بالاعتصـام بالله والتوكل عليه في كل أمر وإخلاص الدين له والتبرؤ من الهـوى وجعل الأمر كله لله عز وجـل، أقـول: لا شك نصل إلى درب الأمـان بكل سـهولة وكل يسـر، ويصـبح كل قضـاء يقضـيه الله لنا خـيراً لأننا أسـلمنا، وسـلمنا القيادة لله سبحانه وتعالى، وبالتالي فالله لا غالب له.

هـذه يا إخـوة: عشر وصـايا هي والله ثمـرة قلـبي، وزبـدة عمـري وبحـثي واسـتقرائي لحـال الـدعوة إلى الله عز وجل ما كـذبت فيها -يعلم اللـه- وأرجو أن أكون قد أخلصت القصد والنية في بيانها وتقديمها.

واعلم يقناً أن هذه الأمور والقواعد العشر معالم حقيقية للطريق لو اتبعها الدعاة إلى الله لنصر الدين بأسرع ما نتصور.

وأسأل الله أن يأخذنا إلى طريقه وأن يرفق بنا في الأمر كله والله غالب على أمره.

وصلى الله على رسوله محمد وآله وصحبه وسلم.

أسئلة وتعقيب

السؤال الأول:

سائل يقول: إذا أراد أحد الحكام وهداه الله سبحانه تعالى إلى أن يحكم بكتاب الله وشرعه فموجب كلامك يا شيخ أن نقول له: لا، قف حتى نربي الناس؟! ويقول السائل إن هذا يعارض محاربة أبي بكر الصديق للمرتدين لإرجاعهم إلى دين الله سبحانه وتعالى؟

الجواب:

هذا الذي فهمه الأخ السائل ليس وارداً في الحقيقة، لا شك إننا نقول كما قال الإمام الشافعي رضي الله عنه: (لو أعلم أن لي دعوة مستجابة لادخرتها للسلطان)، لأن بصلاحه صلاح الأمة، فالسلطان الذي بيده الأمر والنهي، ويملك الإرشاد بالقرآن والوازع بالسيف والعصا، قد جمع الوازعين، كما قال الله تبارك وتعالى: {لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس}.

فالرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين والأنبياء كانوا أحد رجلين: إما أنبياء ورسل غير ممكنين فهم يقومون بواجب الدعوة إلى الله تبارك وتعالى لا يملكون إلا الهداية بالكلمة، وإما رسل وأنبياء جمعوا بين الكلمة وبين السيف جعلهم الله ممكنين، فمثال الأول: نوح وهود وصالح وإبراهيم، كانوا لا يملكون إلا الكلمة ولا يملكون إلا الموعظة والتذكير، وبالتالي كان الوازع الوحيد الذي بأيديهم هو تذكير الناس مخافة الله وتقوى الله وترهيب الناس من عذاب الله.

ومثال الثاني: موسى مثلاً كان قبل الخروج من مصر غير ممكن وبعد أن خرج أصبح ممكناً، يقيم حدود الدين في بني إسرائيل، حتى إن الله أمره أن يقتل كل من عبد العجل، وقيل إنهم كانوا اثنا عشر ألف شخص قتلوا في يوم واحد، ثم جاء بعده يوشع بن نون كان نبياً ممكناً، وجاء سليمان وداود، وهؤلاء أنبياء ممكنين في الأرض قال تعالى لداود: {يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله}، وكذلك كانوا يملكون الوازع بالكلمة والوحي، فجمعوا بين الأمرين لكن هل تخلوا لما ملكوا السيف عن التربية؟ الجواب: لا، نبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان قبل الهجرة وقبل التمكن في الأرض كان لا يملك إلا الكلمة ولذلك جاء قول الله: {فذرني ومن يكذب بهذا الحديث}، ثم بعد ذلك أمر الله نبيه أن يقاتل في سبيل الله وأن يقيم الحدود فقال صلى الله عليه وسلم: [أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيموا الصلاة].

فجلد شارب الخمر ورجم الزاني وجلد القاذف، لكن هل تخلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم عن كونه النبي المربي، يربي بالقرآن ويـربي كـذلك بالسيف والحديد، والعصا والسوط، يزع بهذا ويزع بهذا.

الخلاصـة: إنه لا شك أن الإمـام المهتـدي الـذي يمكنه الله تبـارك وتعـالى يملك الأمرين: يملك التربية ويملك كذلك التقويم بالحدود، والحـدود زواجر والسيف قاطع للفتنة.

ولكن الرسول في أثناء امتلاكه للسيف كان كـذلك رحيمـاً يعتـني بالصـغير والكبـير، الجارية تأخذ بيـده حـتى تقضي حاجاتهـا، ولا يضع السـيف إلا في محله.

والذي أريد أن أقوله، إن فاقد الشيء لا يعطيه، لماذا نقول لابد من اعتماد التربية وسيلة لإعزاز الأمة ونصرها؟

نقول ذلك لأنه لا يمكن أن يكون عندنا ذوي خلق وذوي دين وذوي تقوى إلا إذا تربوا قبل التمكين قبل أن يسـلمهم الله الأمانة ويسـلطهم على رقـاب النـاس، ويعطيهم السـيف، فالخشـية أن يقتلـوا به المعرضـين، فـإذا وجد حكـام من الـدعاة المتحمسـين لكنهم قد يكونـوا ممن لا خُلق لهم ولا دين بهم ولا تربية عندهم، يكون أحـدهم قد سـمع درسـاً أو درسـين ثم وصـلوا إلى الحكم بدبابة ولم يتثبت الإيمـان والرحمة قلـوبهم ولم يفقهـوا حقـائق الدين.. فما مصير الأمة تحت يد هؤلاء؟ مصـير الأمة هو الهلاك والتـدمير!! وهذه حقيقة: أقول: إذا حكم شخص الناس ولم يـدخل الإيمـان قلبه وزعم أنه واسع جداً لأن الدين يعطيه صـلاحيات كبـيرة جـداً، صـلاحيات عظيمـة، فيستطيع أن يزعم أن إنساناً ما مرتد فيكون جزاؤه القتل.

أنا نفسي يوم أعلن السادات عن تطـبيق حكم المرتد في الشـريعة، كتبت مقالاً بعنوان (على من ستطبقون حكم المرتـد)، وقلت: دعونا نعـرف من هو المرتد؟ قبل أن تـأتي وتقبض على فلان من النـاس وتقتلـه، هـذا الـذي خالف الدين وأريد أن أذبحه، ويصبح الحكم كأن الدين هو الذي ذبحه باسم الإسلام والقرآن، إذن فلا بد أن نحدد أولاً: من المرتد إذا كان المرتد الــذي يخالفك أيها الحاكم والذي لا يمشي على هواك هو المرتد، وتقول هذا كفر وخرج من الدين فنكون قد سلمناك سيفاً باسم القرآن تقطع رقاب الناس به، علماً أننا لو حددنا المرتد على الحقيقة فلربما كان الحـاكم هو أول من يُقتل وبالتالي يُطبق الحكم فيه.

والخلاصة: أن الدين يعطي صلاحيات عظيمة وبالتالي لا يجـوز في الحقيقة أن تمسـكه إلا أيد أمينـة، وأما إذا وضع بأيد غـير أمينة فـإن هـذا الأمر في منتهى الخطورة، لذلك أقول: لابد من التربيـة، والتربية أسـاس حـتى يوجد رجال يتقون الله، لأن مثل هؤلاء الرجال عنـدما يكونـون على رقـاب الأمة فسيتقون الله وسيكونون رحماء أبراراً، من أمثـال الصـديق الـذي لم يضع السيف إلا في مكانه تماماً.

ومن أمثال عمر بن الخطاب القوي الشجاع الذي قال: (لو عثرت بغلة في العراق لسئل عنها عمر).

فهؤلاء رجال كانوا يتقون الله وبالتالي كانوا رحماء أما أناس عندما تكون المصلحة في جانبهم يستبيحون لأنفسهم أن يستشهدوا بالآية والحديث، وإذا لم يكن الحق معهم يزيغون يميناً وشمالاً.. هؤلاء يشكلون خطورة عظيمة.

هؤلاء نخاف منهم لأنهم لو كانوا على رقاب الناس فيا ويل الناس منهم ويا ويل الناس عندما يتسلطوا عليهم باسم القرآن والدين ويوضع السيف الإسلامي في غير موقعه يكون بذلك الهلاك العظيم، وبالتالي أقول: نعم لن تعز هذه الأمة إلا بالتربية وإلا برجال ربُّوا على أساس الدين وعندما يكون أمثال هؤلاء على رقاب الناس، فسيكون أكبر نصر للأمة، لأنهم سيجمعون بين التربية وبين السيف ولن يضعوا السيف إلا في مكانه تماماً.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفق كل من بيده سلطان على هذه الأمة إلى الدين وأن يحكم بشرع الله مريداً بذلك وجه الله سبحانه وتعالى.

السؤال الثاني:

هل يمكن تربية جيل المستقبل في ظل الرفاهية والراحة والدعة والركون إلى الدنيا؟

الجواب:

على كل حال التربية بالخير والشر، والله تبارك وتعالى يربي عباده بالخير والشر، يربيهم بالنعمة حتى يأنسوا بها ويرتاحوا ويشكروا الله ويربيهم بالشر {ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين* الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون}.

فالحمد لله الرب الحكيم سبحانه وتعالى الذي يربي عباده بالحسنة والسيئة والقائل: {ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون}.

فالبلاء والتربية ينبغي أن تكون بالخير والشر ابنك مثلاً الذي تريد أن ينشأ تنشئة صحيحة لابد أن تعامله بالحسنة والشدة، اتركه يتحمل بعض المشاق وكذلك يجب أن تنعم عليه وتحسن إليه وتكفي حاجاته وهكذا، وليس معنى التربية بالشدة أن نبحث عن المشاكل ونركبها هذه ليست تربية، وهذا الأمر أخّر الدعوة، أرأيت لو يُسر لك الحج راكباً فلا داعي للتكلف والحج ماشياً، فإذا كان الأمر ميسراً لا بأس به، ولا ينبغي أن نتكلف {وما أنا من المتكلفين}.

كذلك لا ينبغي أن نهجم على البلاء لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: [لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا].

هل نفتعل المشاكل لكي نقع فيها وبعد ذلك نبحث عن حل لها؟ هذا من قلة العقل وقلة الفقه، بل أقول: لا شك أن مجالات التربية مع النعمة عظيمة جداً، أنعم الله عليك نعمة فابذل منها في سبيل الله، هذه تربية لنفسك أنك تمنعها عن الشح والبخل وتنفق في سبيل الله: زيارتك

لمـريض، سـعيك في نفع إنسـان، هجرتك في سـبيل الله للـدعوة إلى الله سـبحانه وتعـالى، تحملك بعض المشـاق، فهـذا مجـال العطـاء مع الراحة مجال عظيم جداً، مجال مفتوح، تريد أكثر من هذا الحمد لله ثغـور مفتوحة للمسلمين في كل مكان، هذه أفغانستان! هذه فلسـطين! هـذا البلاء على المسلمين من كل مكان! إذا كـان النـاس في أرض مثل الكـويت ليس بها بلاء فهل تقول: يا رب هات البلاء لكي نتربى (وأقول الآن لقد حل بالكويت بلاء لا يكاد يوجد مثيل لـه، وأحمد الله أن شـباب الـدعوة الإسـلامية الـذين تربوا على الكتاب والسنة ضربوا المثال الصالح في هذه المحنة العظيمـة، والمجال ضيق الآن لشـرح ذلك وهـذا دليل بحمد الله أن التربية الإسـلامية على منهاج الكتاب والسنة هي التي تعد الناس للقيام بالحق)؟ هذا جنـون، فهؤلاء المسلمون يكفيهم البلاء وزيادة فلنشـارك نحن، ومجـال المشـاركة مفتوح لتخفيف هذا البلاء عن المسلمين.

لكن بعض المســلمين من ضــيق فقههم وعقلهم أنهم لا يفكــرون إلا في المنطقة السـكنية الـتي يعيشـون فيهـا، فما دام لا يوجد بلاء في المنطقة السكنية التي هو فيها فيكون معناه أنه لا يوجد مجال للتربية، الله الله!!

هل تريد أن يحل البلاء في كل بيت من بيوت المسلمين لكي نـتربى؟ هـذا ضـعف عقل وضـعف فقـه، الأمة فيها من البلاء ما يكفيهـا، مجـال الإنفـاق ومجال البذل ومجال العطاء ومجال الجهـاد في سـبيل اللـه، مجـال عظيم جـداً وواسع جـداً، وهو مبـذول على امتـداد السـاحة الإسـلامية فلنشـارك إخواننا المسـلمين، ولنخفف عنهم، ولنشد من أزرهم، وهـذا مجـال عظيم جداً للجهاد والدعوة وفعل الخير.

وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

****

******